كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة تلمسان

محاضرات في مقياس النقد الأدبي المعاصر– السداسي الرابع – دراسات لغوية تخصص لسانيات عامة

د–حرة طيبي

المحاضرة السابعة: *النقد الثقافي*

توطئة:

شهد القرن العشرين جملة من التحولات على مستوى المفاهيم، وعلى مستوى النظريات والاتجاهات في مجال النقد الأدبي بصفة عامة، وعلمنة الدراسة الأدبية بصفة خاصة، نتيجة لما توصلت إليه العلوم المعرفية المتعددة من حقائق ونظريات استفاد منها النقد الأدبي. إذ أضحى المشهد النقدي المعاصر يتجه أكثر فأكثر نحو إلغاء الحواجز المختلفة بين الظواهر الأدبية وبين العلوم التجريبية البحتة، فضلا عن استفادته من نظريات لسانية حديثة بما تتضمنه من مناهج متعددة، أحدثت تحولات عميقة في توجهات الخطاب النقدي المعاصر ذي المرجعيات الغربية التي لها الدور الحاسم في توجيه الخطاب النقدي العربي الجديد.

و يعد النقد الثقافي من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد وجاء كرد فعل على البنيوية والسيميائيات، كما تأثر المنهج الثقافي بنظرية "جاك ديريدا" التفكيكية[1] القائمة على التشريح من خلال استخراج الأنساق الثقافية عبر النصوص والخطابات.

مفهوم النقد الثقافي:

إن الثقافة بطابعها المعنوي والروحاني تختلف مدلولاتها من البنيوية إلى الأنتروبولوجيا وما بعد البنيوية، وتندرج هذه الثقافة ضمن الحضارة التي تنقسم إلى شقين: الشق المادي و التقني ويسمى بالتكنولوجيا، والشق المعنوي والأخلاقي والإبداعي ويسمى بالثقافة.

[1] - سكران رافيندان، جاك دريدا ونظرية التفكيك، ترجمة خالدة حامد، مجلة الموقف الثقافي ، العدد 34 ، 2000.

يعنى النقد الثقافي بالمؤلف، والسياق، والقارئ(الناقد)، ويعتبر واحدا من أهم المناهج المتميزة في الفكر النقدي، وفي الثقافة العربية بوصفه مشروع نقدي وفكري، تتجلى فيه بوضوح شعرية الخطاب النقدي الذي هيمنت فيه جميع الدراسات لصياغة فكر نقدي أصيل انطلاقا من خلفيات تاريخية ولغوية وقاعدة معرفية زاخرة لمستجدات المشهد النقدي.

كما يعتبر الناقد السعودي "**عبد الله محمد الغذامي**"[2] النقد الثقافي بناء للنقد التاريخي، الذي انتشر سنة 1964 في الغرب، مع بروز مدرسة فرانكفورت في الأبحاث الثقافية بشكل موسع في سنوات التسعين وأحسن من مثلها: رولان بارت، ميشال فوكو، ادوارد سعيد...

إن طرح الغذامي لمشروع النقد الثقافي، كان هدفه الأول هو كشف الأنساق المضمرة في النصوص الأدبية التي تشكل بنية الثقافة العربية، والتي تتكون عبر البيانات الثقافية والحضارية للنصوص، وتتقن الاختفاء تحت عباءة هذه النصوص، فيكون لها بذلك دور فعال في رسم الثقافة الجمالية، التي تتجاوز بوظيفتها حدودها الشكلية، و بذلك يطرح الناقد مشروع النقد الثقافي بوصفه بديلا عن النقد الأدبي باعتباره مشروع جريء، يثير إشكالية نظرية وثقافية مطروحة على الدراسات النقدية والثقافية الحديثة، والتي تتعلق بمسؤولية الناقد تجاه ما يقرأه، وتجاه ما يحدث في عالمه من جهة وخير ما ذكرناه كان في النقد البنيوي طبعا.

وعليه نقول إن المنهج الثقافي يقصي من حسابه الفن والجمال والوظيفة الشعرية بالرغم من أنه يتعامل مع النص أو الخطاب الأدبي من منظور ثقافي، وبهذا يتنافى هذا المنهج مع خصوصية الأدب وماهيته ووظيفة النقد الأدبي جملة وتفصيلا، وطبعا هذا ما سنتعرف عليه في العلاقة بين النقد الثقافي والنقد النفسي.

- عبد الله محمد الغذامي: أكاديمي وناقد أدبي وثقافي من مواليد 1946 بالسعودية أستاذ النقد والنظرية بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الملك آل سعود، من مؤلفاته: الخطيئة والتكفير. تشريح النص، الكتابة ضد الكتابة، القصيدة والنص المضاد...) [2]

المحاضرة الثامنة:

النقد النفساني(اتجاهاته، مفاهيمه وأسسه، أعلامه،موقف النقاد منه، عيوبه)

بدأ هذا المنهج بشكل علمي منظم مع بدايات علم النفس ذاته منذ نهاية القرن التاسع عشر عند صدور مؤلفات"سغموند فرويد" الذي استعان بدراسة الإبداعات الأدبية والفنية باعتبارها تجليات لحالات نفسية، وقد كانت نقطة الانطلاق عند فرويد هي التمييز بين الشعور واللاشعور، وبين مستويات الحياة الباطنية، واعتبار اللاشعور هو المخزن الخلفي غير الظاهر للشخصية الإنسانية، وقد لجأ إلى تاريخ الأدب للتدليل على نظرياته في التحليل النفسي، وليستمد منه مصطلحاته كعقدة " أوديب" وعقدة" الكترا" وغيرها، مما أدى إلى ربط الإبداع الأدبي بالظواهر المرضية باعتباره معبرا عن العالم الباطني للإنسان[3].

ويستمد المنهج النفساني آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي أو التحلفسي[4] على حد نعت **عبد الملك مرتاض**، والتي أسسها **سيغموند فرويد**(1856- 1939) في مطلع القرن العشرين فسّر على ضوئها السلوك الإنساني برده إلى منطقة اللاوعي(اللاشعور) الذي يعتبر خزانا لمجموعة من رغبات مكبوتة، تبحث دوما عن الإشباع في مجتمع قد لا يتيح لها ذلك لذلك فهو مضطر إلى تصعيدها، أي إشباعها بكيفيات مختلفة(أحلام النوم، أحلام اليقظة، الأعمال الفنية من الموسيقى المسرح..)، وكأن الفن تصعيد وتعويض لما لم يستطع الفنان تحقيقه في واقعه الاجتماعي واستجابة تلقائية لتلك المثيرات النائمة في الأعماق النفسية، والتي قد تكون رغبات جنسية(بحسب **فرويد**) أو شعورا بالنقص يقتضي التعويض(بحسب **آدلر**) أو مجموعة من التجارب والأفكار الموروثة المخزنة في اللاشعور الجمعي(بحسب **يونغ**)[5].

ظل النقد النفساني يتحرك ضمن جملة من المبادئ والثوابت منها:

- ربط النص بلا شعور صاحبه.

- النظر إلى الشخصيات(الورقية) في النصوص على أنهم شخوص حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم.

---

[3]- صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ط 5 2012 ص 54-65.

[4] – عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 136.

[5] – يوسف وغليسي، محاضرات النقد الأدبي المعاصر، 2005 ص 20.

- النظر إلى المبدع(صاحب النص) على أنه شخص عصابي وأن نصه الإبداعي هو عرض عصابي يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول اجتماعيا.

واتفقت معظم الدراسات على أن الناقد الفرنسي **شارل مورون**(1899-1966) قد حقق انتصارا منهجيا كبيرا، إذ فصل النقد الأدبي عن علم النفس واعتمد على التحليل النفسي في دراسة النصوص الأدبية.

مجالات النقد النفسي:استثمرت الدراسات الأدبية حقائق علم النفس ومفاهيمه بكيفيات شتى عبر مجالات مختلفة نذكر منها:

1-دراسة العملية الإبداعية: يربط فرويد العمل الأدبي بأنشطة بشرية ثلاثة: اللعب، التخيل والحلم (يلعب طفلا، يتخيل مراهقا، يحلم كبيرا) وهنا الإبداع، ففرويد يركز على جانب ارتباط الأدب بالحلم، لأن كل منهما يمثل هروبا من الواقع[6]. في حد ذاتها هي (سيكولوجية الإبداع) أي ماهيتها النفسية وعناصرها، ولعل" **مصطفى سويف**" خير رائد لهذا الاتجاه بكتابه(الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر) سنة1951.

2- دراسة شخصية المبدع(الاتجاه البيوغرافي أو سيكولوجية المبدع) ومن رواد هذا الاتجاه: عباس محمود العقاد، محمد النويهي.

3-دراسة العلاقة النفسية بين العمل الإبداعي والمتلقي.

4-دراسة العمل الإبداعي من زاوية سيكولوجية(التحليل النفسي للأدب) وهذا هو المجال الحقيقي للممارسة النقدية النفسانية ومن روادها: أمين الخولي، عز الدين إسماعيل.

رواد المنهج النفسي:

[6] -محمد صايل حميدان، قضايا النقد الأدبي الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1 الأردن 1991، ص 96.

يعد المنهج النفساني من أكثر المناهج النقدية إثارة للمواقف المختلفة، فثمة من يناصره وثمة من يناهضه وثمة من يقف بين بين.

أ- **موقف الأنصار**: يعتبر "**عباس محمود العقاد**" أول المناصرين لهذا المنهج ولقد كتب مقال سنة 1961 بعنوان(النقد السيكولوجي) كما نجد أيضا" **جورج طرابيشي**" الذي مارس النقد النفساني في كثير من كتبه(أنثى ضد الأنوثة).

ب- **موقف الخصوم**(المعارضين): يأتي " **محمد منذور**" في طليعة النقاد الداعين إلى فصل الأدب ودراسته عن العلوم المختلفة ومنها علم النفس، يقول في هذا الصدد:" إن الاهتمام بالأديب باسم علاقة الأدب بعلم النفس سينتهي بنا إلى قتل الأدب"[7].

كما نجد" عبد الملك مرتاض" الذي يعتبر من أعداء القراءة النفسانية التي وصفها بالمريضة المتسلطة.

ج- **مواقف وسطية:**

من أهم ممثليها الناقد المرحوم" **سيد قطب**"، و"**محمود الربيعي**"، والناقد" **عز الدين إسماعيل**" وهذا ما ظهر في كتابه (التفسير النفسي للأدب).

عيوب التطبيقات النفسانية:

-الاهتمام بصاحب النص على حساب النص ذاته.

-الربط بين النص ونفسية صاحبه مع الاهتمام المبالغ فيه بمنطقة" اللاوعي" التي مثلها المبدع الناقد " **عبد القادر فيدوح**" بالعلبة السوداء" التي يجد فيها الباحث النفساني كل تفسير لأسرار العمل الإبداعي.

-الإفراط في التفسير الجنسي للرموز الفنية.

-الاهتمام بالمضمون النفسي للنص(السلوكات والعقد) على حساب الشكل الفني.

نستطيع القول أن النقد النفسي أهمل قيمة النص الأدبي وضيع فيه مجمل القيم الجمالية والفنية التي تقوم به عندما جعل العوامل النفسية هي مصدر الإبداع.

المحاضرة التاسعة: *النقد الأيديولوجي*

[7] -محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص 170.

توطئة:

الأيديولوجيا أو الأيديولوجية باليونانية القديمة: فكرة، علم، خطاب. وبالعربية: الأدلوجة الفكروية، الفكرانية، العقيدة الفكرية[8].

كلمة" ايدولوجية" التي شاعت في الخطاب السياسي العربي مصطلح ينتمي للغات الهندية الأوروبية مكون من مقطعين أصلهما اغريقي" أيديا" وتعني فكرة، و" لوجوس" وتعني حرفيا" كلمة" ولكنها تعني"دراسة" أو " علما" وكلمة أيديولوجية مرتبطة بنسقنا اللغوي وبالتالي الفكري، وهي بذلك كلمة مختلطة الدلالة في لغتها الأصلية فهي تعني الشيء وعكسه.

إن الكلمة تعني أن النص كلمات صامتة لا تفصح عن شيء إلا من خلال الناقد، الذي يتفاعل معه وينكشف قواعده حين ينطق النص، فيكشف عن أسراره، أي أن التفاعل هو الموضوع من خلال الذات، وطبعا يبقى النص نصا والناقد ناقدا في ضوء ذلك التفاعل.

إلا أن التعريف المتفق عليه هو:" أنها النسق الكلي للأفكار والمعتقدات"[9].

ويعد" **دي تراسي**" أول من استعمل هذا المصطلح في عصر التنوير الفرنسي في كتابه" عناصر الأيديولوجية" التي قصد بها علم الأفكار، وتطور المفهوم وأصبح يعني النظام الفكري والعاطفي الشامل.

أنواع الأيديولوجيا:

- الايديولوجيا العلمية.

- الايديولوجيا الفكرية.

- الايديولوجيا الطبيعية.

---

[8] - قاموس المورد، البعلبكي، بيروت لبنان.

[9] - مجموعة من الباحثين، علم الاجتماع ، قضايا فكرية.

ولقد شاع بين علماء اللغة والكّتاب الاجتماعيين في العصر الحديث، أن الايديولوجيا تعني نظاما من الأفكار المتداخلة كالمعتقدات، والتقاليد، والمبادئ والأساطير التي تؤمن بها جماعة معينة أو مجتمع ما، وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية، والأخلاقية والدينية والاقتصادية وتبررها في نفس الوقت.

وإن من أهم العوائق التي تعترض حركة النقد الأدبي نحو تحقيق الموضوعية المعرفية، تكمن في العوامل الشخصية والايديولوجية التي تشكل مجموعة من القيم والمعتقدات التي يدين بها الناقد نفسه، تلك الثقافة التي تحكمت في تكوينه.

ولعل ما ذكره الناقد"**محمود أمين العالم**" عن مفهوم النقد الايديولوجي:" إن النقد الأدبي مهما استند إلى اجتهادات موضعية وموضوعية في التحليل الوصفي للعمل الأدبي ومهما تسلح بنتائج المحاولات العلمية لدراسة الأدب، فهو في النهاية موقف ايديولوجي، وليس المقصود أن يسقط الناقد ايديولوجيته إسقاطا خارجيا على العمل الأدبي الذي يدرسه، بل أن موقفه من هذا العمل الأدبي لن يكون مجرد موقف وصفي تحليلي وحسب"[10].

وإذا كانت الايديولوجيا تدل على مجموعة الأفكار والآراء التي ترسخ في عقلية الناقد انعكاسا لمصالحه، فإن هذا يعني أن هذه الأفكار والمعتقدات التي يؤمن بها لا يمكن أن تكون إلا تعبيرا عن نزعة ذاتية وآراء شخصية.

نقول في الأخير أن تركيز النقد الأدبي الحديث على الخلفيات الايديولوجية والمعتقدات ذات الصلة بالظروف التاريخية هي التي تثير وتحرك الأديب من جهة، وطبيعة الأدب نفسه التي تساهم عن طريق طرح القضايا والموضوعات التي تستقطب الأدباء كمعطى موضوعي من جهة أخرى.

المحاضرة العاشرة: ***الحداثة والمعاصرة***

[10]- مرجع سابق.

تمهيد:

إن من أهم المفاهيم الفكرية والحضارية التي أثرت بشكل واضح على توجه وبنية النقد الأدبي العربي مفهوم المعاصرة modernisation وتحمل وجهين: الحداثة modernisme والوجه الثاني: العولمةglobalisation . أي جعل الشيء أكثر انتشارا(عالميا).

التصق مفهوم الحداثة في بادئ نشأته بالمجال الأدبي والنقدي قبل أن يلتصق بالتاريخ والاجتماع والسياسة، وتعود نشأة الحداثة إلى ما بعد العصور الوسطى التي عاشتها أوروبا تحت سيطرة الكنيسة وانحطاط الفكر والوعي. لكن بمجرد دخول أوروبا إلى عصر العلم أو الحداثة حتى تغير كل شيء وبدأ عصر إرادة الإنسان بوصفه كائنا عاقلا لا تحكمه الأساطير ولا إرادة الآلهة وارتبط المفهوم بالفكر والايديولوجيا.

أما عربيا ما زالت الحداثة مجالا للنقاش، فالعرب يرجعونها إلى القرن السابع متجسدة بالاتجاه الشعري المحدث في العصر العباسي على يد شعراء مجددين من أمثال: **بشار بن برد، أبي نواس** وهو أول من هدم نظام القصيدة القديم، واستهل قصيدته بالمقدمة الخمرية عوضا عن المقدمة الطللية في قوله:

عاج الشقيُّ على رسمٍ يسائلهُ وعجتُ أسألُ خمّارة البلد

في حين يرى المفكرون الحاليون أن الحداثة شيئا مجلوبا من الخارج ويختلف مفهوم الحداثة عن المعاصرة فالمعاصرة ترتبط بالعصر فتكون بذلك ذات دلالة زمنية، أما الجديد فلا يرتبط بالزمن قد يكون الجديد في القديم، كما يكون في الحديث، وهكذا تختلف الحداثة عن المعاصرة.

لقد تبلور مصطلح الحداثة في الغرب والتي عرفها الشاعر الفرنسي "**بودلير**" الذي يعتبر الأب الروحي للحداثة حيث يقول:" ما أعنيه بالحداثة هو العابر والهارب والعرضي ، إنها نصف الفن الذي يكون نصفه الآخر هو الأبدي الثابت"[11].

إن الحداثة هي ثورة على الفكر الذي يجعل الإنسان جزء من الطبيعة، ليكون هو المحرك والفاعل الثقافي والحضاري، ومنه تصبح الحداثة قادرة على نقد ذاتها. ومن النقاد الذين اهتموا بالحداثة والمعاصرة

[11] - خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دط دمشق سوريا 1996، ص 31.

نجد الناقد العربي" **عبد السلام المسدي**"[12] الذي حاول غربلة النقد الغربي بتطبيقات إجرائية تعتمد على النقل والتعريب لتحفيز النقاد العرب وتشجيعهم على خوض التجربة النقدية الغربية.

وهذا ما أكده في قوله:" هكذا أصبحت الحداثة تعاني إشكالا تصوريا متعددا لوجهات، وعلى هذا الأساس يتعذر على النقاد تناول موضوع الحداثة من موقع التنظير ما لم يفك التعاضل الاصطلاحي الحائم حول اللفظ والتشابك المفهومي الراكن في مطاف المدلول"[13].

وعليه نقول يختلف مفهوم الحداثة عن المعاصرة، ترتبط هذه الأخيرة بالعصر، فتكون بذلك ذات دلالة زمنية، أما الجدة فلا ترتبط بالزمن، إذ قد يكون الجديد في القديم، كما يكون في الحديث وبهذا يصبح مفهوم الحداثة مختلف عن المعاصرة وتصبح الجدة منفصلة عن الزمن متجاوزة العصر. وهناك من يراها بأنها التمرد على الواقع بكل جبهاته السياسية والاجتماعية والفكرية، هذا المفهوم الذي امتد إلى الأدب العربي المعاصر، ليخلق نوعا من التمرد، فالكاتب هنا يزرع أفكاره على الوضع الاجتماعي عبر ما يكتبه من عمل سردي، وطبعا يبقى الآخر هو المتلقي لهذا الإبداع كما عرفنا سابقا.

[12] - عبد السلام المسدي أكاديمي و كاتب ودبلوماسي ووزير التعليم العالي في تونس، من مواليد 1945 صفاقس من أهم الباحثين في مجال اللسانيات واللغة، يعد واحدا من النقاد القلائل الذين ترسخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي ليس في تونس فقط بل في العالم العربي، له عدة إسهامات في العمل السياسي والدبلوماسي والأكاديمي من مؤلفاته: الأسلوبية والأسلوب، النقد والحداثة، علم المصطلح، مراجع اللسانيـــات مراجع النقد الحديث.

[13] - عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة والنشر، ط1 بيروت لبنان 1983، ص 08.